كلاسيكيات

دورة مهرجان القاهرة السينمائي الدولي الـ ٢٨

كلاسيكيات إيطالية ونجمات فرنسيات وغيبات مصرية

القاهرة / فيصل عبدالله

مع إعلان جوائزه قبل أيام على المسرح الكبير في دار الأوبرا، يكون مهرجان القاهرة السينمائي الدولي قد أختتم فعاليات دورته الثامنة والعشرين. فهذا المهرجان العتيد الذي انطلقت أولى دوراته في العام ١٩٧٦، ووقف وراء فكرة تأسيسه الناقد الراحل كمال الملاخ وحفنة من زملائه في "الجمعية المصرية لكتاب ونقاد السينما"، كان بمثابة رد فعل على إعلان اسرائيل تنظيم مهرجانها في القدس المحتلة، وهي التي لا تملك صناعة سينمائية تذكر آنذاك. وكان هدفه الثاني لملمة النتاج السينمائي العربي والاحتفاء به في عاصمة السينما العربية. الا ان مصائر دوراته اللاحقة، وتداخل المصالح والحسابات السياسية وصراعات القوى وغلبة الرسمي والحكومي، كشفت لمتابعه ثغرات غير خافية، خصوصاً لجهة صفته "الدولية". فهو تارة يلتفت الى النتاجات السينمائية العالمية، وعبر استقطاب وجلب أكبر عدد من النجوم الأميركيين والأوروبيين وأفلامهم، ويجعل منها دليلاً على "دوليته". وتارة أخرى يلتفت الى النتاج السينمائي المحلي، خصوصاً المصري منه، بغثه وسمينه لإظهار ديمومة وتنوع صناعة السينما في هذا البلد.

تزامنت الدورة الحالية مع "عام الصداقة المصرية الإيطالية"، فاختارت ادارة المهرجان شريط "أذكريني" لغابرييل موتشينو لإفتتاحها. والى جانبه حضرت كلاسيكيات السينما الإيطالية والموقعة باسماء أعمدتها، فيسكونتي وماريو مونتشيللي وفيتوريو دي سيكا وأنطونيوني وفرانشيسكو روزي وسيرجيو ليوني وبازوليني وإيتوري سكولا وبيرتولوتشي...وخصصت تحيتها الى النجمة آنا مانياني، المولودة في مدينة الأسكندرية وعبر عرض منتخبات من أفلامها، ومثلها المخرج وكاتب السيناريو بوبي آفاتي. ولعل حيوية هذه الفقرة، والى جنبها تلك التي أطلق عليها "أضواء على السينما الإيطالية الجديدة"، مثلتا فرصة ثمينة لمحبي هذه السينما من أسترجاع بعض عناوينها القديمة والجديدة في حزمة واحدة. وكرمت هذه الدورة، أيضاً، المخرج المصري سعيد مرزوق على مجمل أعماله، والممثلة ليلى فوزي، والفنانة صباح، وكاتب السيناريو عبدالحي أديب، والممثل الأميركي بد سبنسر، والممثلة الإيطالية أنا غالينا بطلة شريط "حراس السحاب" الفائز بهرم القاهرة الذهبي. اما نجمات السينما الفرنسية، فقد كرمتهن هذه الدورة ضمن فقرة "نجمات فرنسيات وأفلام" ، وشملت سيمون سينيوريه وفاني أردان وايزابيل هوبير وجولييت بينوش وكاثرين دينوف وايمانويل بيره.

من بين ٧١ شريطاً ضمتها فقرة المسابقة الرسمية ومن ٤١ بلداً، تمثلت المشاركة المصرية بشريطي "الباحثات عن الحرية" لايناس الدغيدي، و "انت عمري" لخالد يوسف، بعد ان سحب محمد ابو سيف جديده "خالي من الكوليسترول" لعدم اكتماله فنياً. فيما أقتصر حضور العرب على شريطي "ذاكرة معتقلة" للمغربي جيلالي فرحاتي صاحب "شاطئ الأطفال الضائعين"، و "الأمير" للتونسي محمد زرن. وهنا قراءة للأشرطة المصرية.

كما في شريطها "مذكرات مراهقة" (١٠٠٢)، يفترض جديد الدغيدي "الباحثات عن الحرية"، والمقتبس عن قصة للصحفية السورية هدى الزين، مقاربة قضية اجتماعية ساخنة. ومثلما سفه شريطها السابق أحلام بطلته، وعبر كم هائل من (الكليشهيات) الركيكة، فان بحث بطلاتها عن "الحرية" و"الخيار" الشخصيين لم يفضيا الى حلول يعتد بها. بل ان التباس مفهومي "الحرية" و"الخيار الشخصي" في ذهن المخرجة، وكاتب السيناريو رفيق الصبان، تحولا الى نقيضهما. فدعوة المخرجة الى متابعة تجربة ثلاث فتيات يلتقين في العاصمة الفرنسية، ومن بلدان عربية مختلفة، لم يخرج بطلاته من عنق قارورة التقاليد الأجتماعية، ولا عن المصائر المبذولة في بلدانهن.

على العكس، فان سفر الفنانة المصرية عايدة، أدتها داليا البحيري، الى باريس بعد حصولها على زمالة دراسية. ومثلها الصحفية أمل، أدتها عارضة الأزياء اللبنانية نيكول بردويل، الهاربة من جحيم الحرب الأهلية في بلدها. وتعرفهما على المهاجرة المغربية سعاد، سناء موزيان، والعاملة في محل لبيع الأزياء الراقية مقابل معاشرتها صاحبه وابن بلدها العجوز. أبعد شريط الدغيدي عن مبتغاه في مقاربة موضوع المرأة العربية وواقعها الإنساني في المجتمع. اذ وظفت مخرجته فيه أسوأ ما درجت عليه السينما المصرية، وتجاوزته في بعض نتاجاتها، من مواعظ وقيم أخلاقية لا يمكن الركون الى أحكامهما في القرن الواحد والعشرين.

ولئن عدت الدغيدي خلاصة أختيارات بطلاتها وراء التبرير الدرامي لمقاربة الحالة الأجتماعية لشخصياتها، بما فيه من تمرد على شرط أجتماعي، فان معالجتها جاءت خاوية. اذ ما الجديد في تردد داليا في حسم موضوع علاقاتها الحميمة مع مهندس مصري، بحكم شوقها الى أبنها الوحيد والمقيم مع زوجها في القاهرة! وكيف يمكن ان يقتنع المشاهد بتمنع أمل من اجراء مقابلة صحفية مع أحد زعماء (ميليشيات) الحرب الأهلية في بلدها، يكلفها بها رئيس تحرير صحفية "الوعي"، واحدة من الصحف "الصفر" التي أنتشرت في ثمانينيات القرن الماضي في باريس. وهي التي يفضحها سلوكها في مطارحة الرجال على وقع السكر والعنف الدامي المصاحب له، كتورية أسترجاع تجربة قاسية مرت بها. لكنها تستجمع نفسها، وتقبل تحدياً اجراء المقابلة، وغايتها الإنتقام من "الزعيم" الذي راح يطاردها أينما حلت. وثوابها حبيب يخرج لها من مقبرة تعلوها الصلبان، وبمباركة زميلها الصحفي المسلم! وعلى الخط نفسه، تقرر سعاد الهرب من سجن حالتها، لتصبح مغنية توزع المتعة في ناد ليلي يرتاده أمراء عرب من دول الخليج، وفي مقطع لا تتجرأ على تصويره حتى السينما العنصرية المعادية للعرب. المفارقة المضحكة في قصة سعاد، انها في آخر الأمر تقترن بشاب فرنسي يعمل في "بوتيك"، ومهرها قراءته سورة الفاتحة.

أما العاصمة الفرنسية باريس، فقد أحالتها المخرجة الى ديكور خارجي أصم، فاقد الروح والحضور سوى بالصورة، تتحرك على مسرحها، كمكان، أسترجاعات شخصية رخوة درامياً، وممارسات عاطفية فاقعة. شريط الدغيدي لا يخرج عن سينما هاذرة، رخيصة، مدعية، وفاقدة الى حيوية النص السينمائي في ابتكار صور فنية صادقة تعكس حالات وسلوك بطلاته الحقيقيات، حتى ان توجته لجنة التحكيم جائزة أفضل فيلم عربي.

وعلى المنوال نفسه جاء شريط "انت عمري" لخالد يوسف، وهو الثالث له بعد "العاصفة" (٢٠٠٠) و "جواز بقرار جمهوري" (٢٠٠١). ونتابع فيه محنة بطله المهندس الشاب يوسف، هاني سلامة، أثر اكتشاف أصابته بمرض سرطان الدم "اللوكيميا"، وقراره الأختفاء مدة من حياة زوجته هند التي تحبه وولده الصغير، وحجته السفر الى خارج مصر في رحلة عمل. وبعد زيارته مستشفى متخصص بمعالجة أمراض السرطان، يلتق براقصة الباليه شمس، أدتها نيلي كريم، والتي تعاني الأعراض نفسها. لكن الفرق بين المريضين، أستسلام يوسف الى قدره، فيما تتشبث شمس بحب الحياة، ويشجعها الطبيب المعالج هشام سليم على الرغبة في الحياة والتمسك بتلابيبها يدفع شمساً الى الوقوع في حب يوسف، مما يحرضه على تلقي العلاج والأستمتاع بمحبوبته. لكن الزوجة هدى تدخل على خط هذه العلاقة لغرض فسخها، من دون الأخذ في الأعتبار حالة يوسف المرضية.

صحيح ان المخرج خالد يوسف أبتعد قليلاً عن المسألة السياسية (العاصفة) والموضوع الأجتماعي (جواز بقرار جمهوري)، وقدم قصة رومانسية/عاطفية ذرف بعض المشاهدين الدموع وهم يتابعونها، وأعاد شيئاً من بهاء الأفلام السينمائية المصرية القديمة حيث الرقص والغناء والأستعراض المغلف بتتبع حالة حب لم تكتمل فصولها. لكن الشريطين مليئين بثرثرة هجينة وحوارات مباشرة سطحية، مما يتطلب منهما إعادة صوغ كامل لجميع المستويات، من كتابة السيناريو والأداء والتقطيع السينمائي.

سحر السينما

علاء المفرجي

ولدت السينما بفضل اجتهاد مخترع، وكرست كصناعة بجهود علماء أضافوا الكثير إليها خلال مسيرة المئة عام، وأصبحت فناً بفضل رجالاتها الحالمين.

وحتى في أولى العروض الشعبية وهروب المشاهدين من مرأى قطار يقتحم ظلام القاعة، كان هذا الفن يعلن أنه قادم ليبقى.. يشيع سحره الآخاذ النشوة في رؤوس من شهدوا ولادته.. وإن التوجس والحذر والاتهام بالابتذال قد صحب هذا القادم الجديد، فإنه مع مرور الوقت نجح في تأكيد حضوره بين الفنون الأخرى.

لعل السينما هي الفن الوحيد الأكثر استقطاباً للمشتغلين بكل الأجناس الإبداعية الأخرى.. وهو ما يفسر ميل الكثير من الأدباء للتقرب من هذا الفن ليثروا به منجزهم الإبداعي الأصل، فإذا كانت السينما قد انطلقت وما زالت على الكثير من الأعمال الأدبية، بل وحققت بها جزءاً كبيراً من مجدها فإن الكثير من الأدباء وخاصة في نصف القرن الأخير من عمرها. راحوا إليها طائعين عارضين عليها خدماتهم ولها أن تختار حتى أنها أصبحت للبعض جزءاً من التكوين الإبداعي.

اندريه مالرو قدم مشروعه عن سيكلوجية السينما ثم صنع سيناريو فيلمه (الأمل) مع أولى سنوات نطق السينما، حيث وجد فيها أول (فن عالمي) ووجد في الصورة قوة لا تدانيها قوة أية لغة أخرى. فيما تقدم مارغريت دورا طليعة كتاب الرواية الجديدة أثراً صار فيما بعد أهم كلاسيكيات السينما هو سيناريو فيلم (هيروشيما حبيبتي)، فيما كاد جان كوكتو أن ينصرف عن الشعر بسبب عشقه لهذا الفن حيث الكتابة بالصور ليقدم أهم أعماله (أورفيه) إخراجاً وأصابت السينما فرناند ليجيه بالدوار، تماماً مثل اراغون وبريخت الذين فهموا الرهانات المطلقة لهذه الوسيلة الجديدة إلى الحد الذي جعلهم يعملون بها أما قصة ماركيز مع السينما، فمعروفة بسيل ما كتب لها، ولا غرابة مصمم على إخراج أعماله بنفسه، ليكتب بالصورة ما كان بدأه بالكلمة.. كالفينو الذي أغنى الإيطالية بروائعه المكتوبة تنثال أمامه مفردات سيرته حيث السينما لها مكان خاص حيث (لا غنى عنها في تكوين الشخصية، من أجل فضاء مختلف للمرء) ولا تنتهي القائمة مع دوبريه الذي وضع أخيراً كتابه (حياة وموت الصورة) ليقدم من خلاله رصداً لمراحل تطور الصورة من أشكالها البدائية الأولى وصولاً إلى ما يسمى (القنبلة الرقمية).

طاهر عبد مسلم رئيس جماعة (سينمائيون عراقيون بلا حدود)

الجماعة جزء مهم وأساس في المشهد السينمائي الثقافي المقبل

حوار / عبد العليم البناء

منذ سقوط النظام السابق حفل المشهد السينمائي بمخاضات جديدة تهدف إلى انضاج المشروع السينمائي العراقي الذي شهد إخفاقات وانتكاسات عديدة شملت نواحي مهمة من هذا المشروع الذي كان يؤمل أن يكون مؤثرا وفاعلاً في إطار الإبداع الثقافي العراقي وذلك بسبب السياسات الخرقاء للنظام السابق ومحاولاته المستميتة لأدلجة الرافد الإبداعي.

وفي هذا الإطار ظهرت إلى الوجود جماعة (سينمائيون عراقيون بلا حدود) التي كان وراء تأسيسها وانبثاقها الناقد السينمائي طاهر عبد مسلم.

❖وبغية تسليط الضوء على هذه المنظمة وأهدافها ومشاريعها وأنشطتها كان لنا هذا الحوار مع الناقد طاهر عبد مسلم الذي أكد قائلاً:

- سينمائيون عراقيون بلا حدود منظمة مستقلة غير حكومية كانت مشروعاً جاهزاً للتنفيذ قبل عدة أعوام.. كان هذا المشروع هو حلمي الشخصي ونخبة من السينمائيين العراقيين المقيمين في داخل وخارج العراق.

كنا بحاجة إلى رابطة تخرج عن إطار النقابات التقليدية التي سئم الناس أسماءها والقائمين عليها طوال ثلاثين عاماً مضت.. كنا بحاجة إلى ملتقى يبتعد عن مسميات الساسة.. منظمة قريبة منا نضع نحن برامجها ونخطط لها ونفكر في أدائها.. وكان أن انطلقت سينمائيون عراقيون بلا حدود في مؤتمرها العام في التاسع عشر من تموز الماضي.

❖وماذا عن أهداف وبرامج عمل المنظمة..؟

- برامج المنظمة طموحة وواسعة.. بدءاً نحن نعد أنفسنا جزءاً من التجربة الثقافية والإبداعية العراقية.. ونحن جزء مهم واساس في المشهد السينمائي الثقافي المقبل.. فنحن ننشط في المجالات الآتية: الفيلم التسجيلي، والفيلم غير المحترف، والفيلم التجريبي، وأفلام حقوق الإنسان والمرأة والطفل، والأفلام القصيرة..

❖ولماذا هذه الأفلام تحديداً..؟

- فلسفة المنظمة اقترنت بهذه الأنواع الخمسة التي نرى أنها لم تول العناية التي تستحقها في ما مضى.. أنا شخصياً ومن تجربتي عضواً في لجان التحكيم الدولية في تونس وماليزيا وجدت إننا بعيدون تماماً عن تنمية مجالات أخرى غير الفيلم الروائي الطويل.. وواقعياً فشلت السينما العراقية في مجال السينما الروائية ولم تقدم منجزاً ذا قيمة هذا إذا استثنينا بضعة أفلام لا تزيد على عدد أصابع اليد الواحدة. لكننا بالمقابل انتجنا أفلاماً تسجيلية ذات تميز على مدى العقود الماضية.

❖وهل ستتوقفون عند حدود الإنتاج السينمائي التسجيلي وحده..؟

- نحن بصدد إطلاق برامجنا للعام المقبل ومنها إقامة حلقات دراسية وندوات وإنتاج أفلام قصيرة... ونحن جادون في المضي بذلك.. ومن برامجنا المقبلة: إقامة (ملتقى سينما المرأة) و (حلقة نقاشية حول السينما والرواية) و(ملتقى لسينما حقوق الإنسان) كما إننا نخطط لإصدار مجلة سينمائية متخصصة.. لكن ما يعيقنا هو تغطية هذه النشاطات حالياً ذلك أن هذه الجماعة تعتمد على إمكاناتها الذاتية بالدرجة الأولى..

وللجماعة فروع في الخارج أو قل ممثلين في السويد وهولندا وألمانيا وأسبانيا وبدأنا التنسيق باتجاه إرسال مجموعة من أعضاء منظمتنا للمشاركة في دورات تدريبية وتطويرية وهو ما نتوقع أن يستكمل مطلع العام المقبل.

❖من كل ما تقدم.. ما هو برأيكم السبيل العملي للنهوض بالسينما العراقية..؟

- أولاً: إن السينما العراقية من خلال بنائها المؤسسي الحالي قد ورثت نظاماً تشريعياً وإدارياً ومالياً لا يتيح لها أن تلعب دوراً مهماً وفاعلاً على الأرض ولهذا فإن من المهم إعادة النظر بهذه الجوانب الثلاثة.

وثانياً: إن الخطوة الأولى في هذا الاتجاه هي شطر دائرة السينما عن دائرة المسرح واستحداث مركز وطني للسينما يكون بديلاً لهذه الدائرة... وهي فكرة تم تداولها مع الوزارة وهي معها.

وثالثاً: من المهم أن يتمتع هذا المركز بالاستقلال المالي والإداري بعيداً عن نظام التمويل الذاتي.

ورابعاً: إعادة النظر بكثير من العاملين في الدائرة وذلك من خلال إعادة تأهيلهم وإعطاء الأكفاء منهم الفرصة للإنتاج.

خامساً: أهمية الانفتاح على المنظمات السينمائية غير الحكومية لدعم إنتاجها السينمائي وأنشطتها الأخرى.

سادساً: أهمية أن يجري التنسيق بين مؤسسات التعليم وتأهيل الملاكات السينمائية وهذا المركز لتخريج ملاكات متخصصة وغير نظرية بل عملية في اختصاصها وبالتالي استقطابهم في إنجاز مشاريع عمل المركز.

جديد السينما

الطيـــــار
جديد سكورسيزي عن حياة هوارد هيوز

متابعة / جودت جالي

بعد تعاونهما في فيلم عصابات نيويورك (عرض عام ٢٠٠٢) يعود المخرج مارتن سكورسيز والممثل ليوناردو دي كابريو الى العمل سويا في فيلم (الملاح) الذي أطلق للعرض على الجمهور ابتداء من يوم ١٧ كانون الأول ٢٠٠٤ ، تبلغ مدة عرضه حوالي ثلاث ساعات وقد كتب السيناريو له جون لوغان وأدار تصويره روبيرت ريتشاردسون الذي أبدع مع سكورسيز التحولات اللونية في الشريط حسب المشهد والحالة والفترة الزمنية دون أن يبدو ذلك نشازا عند المشاهد المشدود طيلة العرض الى المتعة البصرية والأحداث المشوقة الحقيقية في سيرتها والأسطورية بقدر ماكان هيوز أسطورة ، فمن اللون الواحد الغالب (مشهد العشاء باللون الأزرق) الى الألوان الزاهية عند تحول الأحداث من عام ١٩٢٩ الى ١٩٤٧ . وتشترك مع دي كابريو كوكبة من الممثلين المرموقين مثل جود لو وكيت بلانشيت ووليم ديفو وآليك بالدوين وألان ألدا وفرانسيس كونروي وجون ريلي وغيرهم . قصة الفيلم تدور حول جزء من حياة هوارد هيوز متعدد النشاطات ومتعدد الامتيازات ومتعدد الأمراض أيضا ، البليونير والمنتج السينمائي ، الطيار المغامر الذي يصمم الطائرات ويطير بها ويحطمها (في الفيلم لقطة تحبس أنفاس المشاهد خوفا وأنفعالا من أفضل ما أبدع سكورسيز) والطيار في الخيال ، المتودد الى النساء، طفولي العقل ، قطب الصناعة السينمائية ، عشيق كاترين هيبورن وآيفا غاردنر ، صاحب النوبات التشنجية العصبية الأستحواذية ، الرجل الذي كان يتدخل حتى في شكل حمالة نهد الممثلة ويعدل فيها ، العظيم الذي كان يرى أن الجميع تحت أبطه ولكنه في النهاية تقهقر الى عزلة ذهانية واجتماعية يطوقه جنون الأرتياب وتستوطنه الهلوسات . هذا هو نوع من أصعب الأدوار على الأطلاق ليس بالنسبة الى ممثل كدي كابريو بل بالنسبة الى أي ممثل متمكن لكن دي كابريو قبل التحدي ودخل في قلب الشخصية بكل معنى الكلمة فهو ممثل قادر بنظرة مركزة من عينيه المعبرتين على أن يقنعك أنه هوارد هيوز بلحمه ودمه.

يتحدث ريلي الذي يمثل دور مدير أعمال هيوز في تلك السنوات العاصفة بالأنفعالات قائلا (كان لهيوز أنفعالات هوائية ناتئة في الفضاء وفي المزاج ، هو الذي أبتكر حمالة النهدين المنتصبة لجين راسل فقد وقف أمامها ونظر أليها قبل اللقطة ، بدا غير سعيد بمنظر النهدين أمام الكاميرا ، وباشر بكل جدية يبتكر ويعلق على أدق التفاصيل) .

هذا العمل كلف ١١٠ ملايين دولار وعمل فيه المخرج مايكل مان كمنتج ، وبهذا الفيلم يكون دي كابريو قد ألتحق من جديد بمجموعة من الفريق نفسه الذي عمل في عصابات نيويورك وفيلم المخرج هارفي واينشتاين (ميراماكس) .يقول ريلي الذي هو أيضا كسكورسيز خريج بيئة العصابات (توجد أشياء معينة مشتركة بين ليوناردو وهوارد مثل الهوس بالتفاصيل وأشياء معينة مشتركة بين هوارد وسكورسيز مثل الرغبة الجامحة في جعل كل شيء على مايرام) . وفي هذا الفيلم تعود فترة هوليود الذهبية الى الحياة بتمثيل جود لو شخصية الممثل العظيم أيرول فلين وبلانشيت دور هيبورن وبيكنسل دور غاردنر وجوين ستيفاني دور جين هارلو . لم تكن بكينسل تتصور كيف يمكنها أن تؤدي دور النجمة أيفا غاردنر ولكنها بعد التفكير مليا بأنها ستمثل دورا مميزا وفي فيلم من أخراج سكورسيز تشجعت. الفيلم لا يتضمن مشاهد عنف وهذا مايجعل فيلما لسكورسيز خالياً من لقطات المعارك الدموية ذا خصوصية يترقب مشاهدته الجمهور .